﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ۝٤١﴾ [ص: 41]

❁ مُناسَبَةُ الآيةِ لِما قبلَها:

التَّأسّي بأحوالِ الأنبياءِ من علاماتِ الاصطِفاء

لمّا ذكرَ سُبحانَه قصّةَ داوودَ وسليمانَ ﷺ، وكانا ممَّن أفاضَ اللّه عليهما أصنافَ الآلاءِ والنَّعْماء أردفَها بقصّةِ أيّوبَ ﷺ، وكان ممَّن خصَّهُ اللّه تعالى بأنواعِ البلاءِ؛ ليزدادَ النَّبيُّ ﷺ بذكرِ هذه الأخبارِ اعتبارًا وصبرًا وإقبالًا على اللّهِ تعالى[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مَسَّنِيَ﴾: (مسّ) أصلٌ يدُلُّ على جَسِّ الشَّيءِ باليَدِ[2]، يُقالُ: مَسِسْتُ الشَّيءَ أمَسُّه مَسًّا: لَمَسْتُهُ بيَدي، وهوَ مجازٌ في إصابةِ الشَّيءِ وحُلولِهِ، وأكثَرُ ما يُطلَقُ في إصابَةِ الشَّرِّ، قالَ تعالى: ﴿۞وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا﴾ [الزمر: 8][3]، والمَسوسُ من المياه: ما نالَتْهُ الأيدي[4]، وحاجةٌ ماسَّةٌ؛ أي: مُهِمَّةٌ[5]. والمَسُّ في الآية مُستعمَلٌ في الإصابةِ على وجهِ المجازِ؛ يعني: أصابني الشَّيطانُ بتَعَبٍ وألَمٍ[6].

2) ﴿بِنُصۡبٖ﴾: (نصب) أصل يدُلُّ على إقامةِ شَيءٍ، ومنه النَّصَبُ: الإعْياءُ مِنَ العَناءِ، ومَعْناهُ: أنَّ الإنسانَ لا يَزالُ مُنتصِبًا قائمًا حتَّى يَعْيا[7]. والنُّصُبُ: الدّاءُ والبَلاءُ والشَّرُّ[8]. والنُّصْبُ بضَمٍّ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 388، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 396.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (مسس).
(3) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن عباد، المحيط في اللغة، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (مسس)، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/ 316.
(4) الخليل، العين: (مسس).
(5) الجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب: (مسس).
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 269.
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نصب).
(8) ابن منظور، لسان العرب: (نصب).

النّونِ وسُكونِ الصّادِ: المَشَقَّةُ والتَّعَبُ، وهي لُغةٌ في نَصَبٍ بفتحتين[1]. والنَّصِبُ: المريضُ الوَجِعُ؛ وقَدْ نَصَبه المَرَضُ وأَنْصَبَهُ[2]. والمقصودُ به في الآية: الشَّرُّ والمَشقَّةُ والعَناءُ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الشَّكوى إلى اللهِ تعالى لا تُنافي الصَّبرَ بوَجْهٍ

يَذكُرُ اللهُ سُبحانه جانبًا مِن قصَّةِ أيّوبَ عليه السلام، فيقولُ: واذكُرْ - يا مُحمَّدُ ﷺ - عَبْدَنا أيّوبَ حينَ نادَى رَبَّه قائلًا: يا رَبِّ، إنّي مَسَّنيَ الشَّيطانُ بتَعَبٍ وألمٍ[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

توجيهُ العطفِ بـ(الواو):

عطفُ القصّةِ على القصّةِ لمزيدِ التَّذكيرِ والتَّعليمِ

صُدِّرَ قولُهُ تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ﴾ بحرفِ (الواو) الدّالّ على العطفِ والاقتران، وذلك لأنّ قوله: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ﴾ معطوفٌ على قولِهِ: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ﴾ [ص: 17] وما عُطف عليهِ من قصّةِ سُليمانَ عليه السلام، فهذا مثلٌ ثانٍ ذُكِّرَ به النَّبيُّ ﷺ أسوةً بهِ في الصّبر على أذى قَومِهِ، والالتجاءِ إلى اللهِ الكريمِ في كَشْفِ الضّرّ[4].

سرُّ التَّعبيرِ بلفظِ (اذكُرْ) صيغةً ومادّةً:

إرشادُ النَّبيِّ ﷺ ومَن تَبِعَهُ للاقتداءِ بالأنبياءِ السّابقين

عبّر النَّظمُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ﴾ بصيغةِ الأمرِ (اذكُر)، وهو أمرٌ للنَّبيّ ﷺ ولأُمّتِهِ بالاقتداءِ بالأنبياءِ السّابقينَ في الصّبرِ على المَكارِهِ، ويُلاحَظُ أنّ الفعلَ (اذكُر) قد وردَ في قصّةِ أيّوبَ وداوودَ عليهما السلام، ولم يردْ في قصّة سليمانَ عليه السلام؛ لكمالِ الاتّصالِ بينَه وبينَ أبيهِ داوودَ عليه السلام؛ فكأنّها قصّةٌ واحدةٌ[5].

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 269.

(2) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (نصب).

(3) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 105 - 107، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 74، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 714.

(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 268.

(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 228.

بقي: أنَّ مادّةَ (الذِّكر) التّلاوةُ؛ أي: (اتلُ قصّةَ عبدِنا أيّوب)، ونظيرُهُ قولُهُ تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩﴾ [الشُّعراء: 69]، وإنّما قالوا: إنّ المقصودَ من الذِّكر هنا هو التّلاوةُ؛ لأنّ ذاكرَ ذلك في الكتابِ هو اللّه تعالى، والكتابُ كتابُهُ ﷻ، وقيل: إنّه ﷺ لكونِه النّاطقَ عنه تعالى، ومُبلِّغَ أوامرِهِ ونَواهيهِ كانَ كأنّه الذّاكرُ في الكتابِ ما ذكرَهُ ربّه ﷻ[1].

لطيفةُ استهلالِ القصّةِ بالخطاب:

الإخبارُ بالمغيَّبات من دلائلِ نبوّتِهِ ﷺ

استُهلّتِ القصّةُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ﴾ بالأمرِ (اذكُرْ) خطابًا للرّسول ﷺ ومَن تبِعَهُ؛ لأنّه ﷺ ما كانَ هو ولا قومُهُ ولا أهلُ بلدتِهِ مُشتغلينَ بالعلمِ ومُطالعة الكتب؛ فإذا أخبرَ عن هذه القصَّة كما كانت من غير زيادةٍ ولا نُقصانٍ كان ذلك إخبارًا عن الغيبِ، ومُعجزًا قاهرًا دالًّا على نبوَّتِهِ[2].

نكتةُ التّعبيرِ بلفظِ ﴿عَبۡدَنَآ﴾:

تشريفُ أيّوبَ ﷺ بالعُبوديَّةِ والإضافةِ

عبّر القرآنُ الكريمُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ﴾ بلفظِ ﴿عَبۡدَنَآ﴾، وهو مدحٌ لأيّوبَ ﷺ بتمامِ عُبوديّتِهِ للّه سُبحانَه، والمقصودُ هنا العبوديّةُ الخالصة: عبوديّةُ الطّاعةِ والمَحبّة واتّباعِ الأوامر[3]، وقد دلّتِ الإضافةُ إلى ضميرِ العَظَمةِ على اختصاصِهِ بالقُربِ من العظيمِ سُبحانَهُ، وتشريفِهِ بكونِهِ عبدًا له سُبحانه، فهو أهلٌ للإضافةِ إلى عظيمِ جَنابِهِ[4].

نكتةُ ذكرِ سيِّدنا ﴿أَيُّوبَ﴾ باسمِهِ العلَمِ:

أيّوبُ مَضربُ المثَلِ في الصّبرِ

أوثرَ في قولِهِ تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ﴾ إيرادُ الاسمِ العلَمِ ﴿أَيُّوبَ﴾ بدلًا أوْ بيانًا؛ لِما اشتهرَ بهِ مِن رَباطةِ القلبِ والصّبرِ على ما

(1) الآلوسي، روح المعاني: 8/ 413.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 21/ 541.
(3) ابن القيّم، مدارج السّالكين، ص: 180.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 388.

ابتُلِيَ بهِ في جَسَدِهِ وأهلِهِ ومالِهِ لمدّةٍ طويلةٍ، حتّى صار مَضرِبَ المَثَلِ في الصَّبر، فيُقال: صبرٌ كصبرِ أيّوبَ.

بقي: أنَّ البدلَ يُفيدُ التَّوكيدَ والتَّقريرَ؛ لأنَّ البدلَ على نيَّةِ تَكرارِ العاملِ، وأمّا البيانُ فيُفيدُ التَّوضيحَ والكشفَ والتَّشريفَ؛ لأنَّ الإضافةَ في ﴿عَبۡدَنَآ﴾ دالّةٌ على التَّشريفِ، فيكونُ التَّوضيحُ تشريفًا له بإيرادِهِ بخصوصِ لفظِهِ العلَمِ المَشهورِ به.

موقعُ الظَّرفِ ﴿إِذۡ﴾ ودلالتُهُ:

أشـرفُ أحـوالِ العبدِ التجاؤُهُ لربِّهِ

وردَ قولُهُ تعالى: ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ بدلَ اشتمالٍ من ﴿أَيُّوبَ﴾ عليه السلام؛ لأنّ زمنَ ندائِهِ ربَّهُ ممّا تشتملُ عليه أحوالُ أيّوبَ عليه السلام، وكأنَّ التَّقدير: (واذكُرْ وقتَ نداءِ أيّوبَ ربَّه)، وما ذكرُ ﴿عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ﴾ إلّا تمهيدٌ وتوطئةٌ لهُ، فلمّا أمرَ اللّه سُبحانه نبيَّهُ بذكرِ قصّةِ أيّوبَ عليه السلام بيّن أنّ المرادَ منها بعضُ أحوالِهِ الشّريفةِ ليتأسَّى بها، وخصَّ النّظمُ هذه الحالَ بالذِّكر من بينِ أحوالِهِ؛ لأنّها مَظهَرُ توكُّلِهِ على اللّه سُبحانه، واستجابةِ اللّه دُعاءَهُ بكشفِ الضُّرِّ عنهُ[1].

سرُّ التَّعبيرِ بالفعلِ ﴿نَادَىٰ﴾:

دعاءُ أيّوبَ عليه السلام بكَشْفِ الضُّرِّ

أوثِرَ في قولِهِ تعالى: ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ استعمالُ الفعلِ ﴿نَادَىٰ﴾ بصيغةِ الماضي الدّالّةِ على تحقّقِ الفعلِ، والمُناسبةِ لحكايةِ قصصِ السّالفين، وهذا النّداءُ دعاءٌ؛ لأنّه يُفتتَحُ بـ: يا ربّ، ونحوِهِ، ولا شُبهةَ في أنّ المرادَ من هذا النّداءِ دعاؤُهُ ربَّهُ بكَشْفِ ما أصابَهُ من الضُّرّ في بدنِهِ وأهلِهِ ومالِهِ. ويظهَرُ منَ العدولِ عن الدُّعاءِ إلى النِّداء أنَّه وصلَ إلى مرحلةٍ في غايةِ الحَرَجِ والخُطورةِ، حتَّى توجَّهَ إلى ربِّهِ بالنّداءِ داعيًا الخلاصَ، وفي ذلك تسليةٌ للنَّبيِّ ﷺ بالصَّبرِ على الأذى وعدمِ تعجُّلِ الدُّعاء.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 268.

بلاغةُ التَّعبير بوَصْفِ الرّبوبيَّةِ والإضافةِ:

شفقةُ الرَّبِّ بالمربوبِ وإحسانُهُ إليهِ

وردَ في قولِهِ تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾ التّعبيرُ بوصفِ (الرّبوبيّة) دونَ سِواه من أسماءِ اللّه وصفاتِه؛ لِما في وصفِ الرُّبوبيّةِ منَ الدّلالة على الشّفقةِ بالمَربوبِ، مع الإضافةِ إلى ضميرِ النَّبيّ أيّوبَ ﷺ لنكتةِ تشريفِهِ والعنايةِ به بإضافتِهِ جزاءَ صَبرِهِ، كأنّه قيل: المُحسِنُ إليهِ الّذي عرفَ إحسانَه إليهِ في تربيتِهِ ببلائِهِ؛ كما عرفَ امتنانَهُ بظاهرِ نَعمائِهِ وآلائِهِ[1]. ويُلحَظُ أنّ النَّظمَ أضافَ العبوديَّة إلى اللّه تعالى قبلُ، وأضاف هنا الرُّبوبيّةَ إلى ضمير أيّوب؛ وكأنَّه إشارةٌ إلى أنَّ المستحقَّ لقبَ العبوديَّة مَن أضافَ الرَّبَّ إليه واعتقدَهُ رَبًّا.

بلاغةُ الالتفاتِ في الآيةِ:

إجابةُ النّداء من آثارِ الرُّبوبيَّةِ

انتقلَ النّظمُ الكريم من مَقامِ الغَيبة في قولِهِ تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾ إلى مقامِ التّكلُّم في قولِهِ تعالى: ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ على سبيلِ الالتفاتِ بحكايةِ كلامِهِ عَلَى صورتِهِ بعينِهِ، ولولا الحكايةُ لقالَ: (أنّه مسَّهُ...) على الغَيبة. ونكتةُ الالتفاتِ العنايةُ بالدّعاءِ واستحضارُ حالةِ تضرُّعِهِ، والإشعارُ بأنّ إجابةَ النّداءِ من آثارِ الرُّبوبيَّة[2]. كما يَحملُ التَّكلُّمُ دلالةَ اللّوعةِ وشدّةِ الحاجةِ، حتّى أقدمَ على التَّصريحِ بذاتِهِ؛ لمسيسِ الحاجةِ إلى الإنقاذِ والاستجابةِ.

محلُّ المصدرِ المؤوَّلِ ﴿أَنِّى﴾:

تحديدُ المُنادى له؛ بيانًا لعُسرِ موقفِهِ وتأزُّمِ حالِهِ

وقعَ المصدرُ المؤوَّلُ: ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ منصوبًا بنزعِ الخافضِ المُتعلِّقِ بـ﴿نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾، بحذفِ (الباءِ) التَّصويريَّةِ المحذوفةِ مع (أنَّ) اطِّرادًا؛ أي: (نادى بأنّي مسّنيَ الشّيطان..)[3]. والغرضُ من ذلك تحديدُ المنادى له؛ لأنّه محطُّ القصدِ والاهتمام؛ فبعدَ أنْ حدّدَ المُنادِيَ والمنادَى أرادَ تحديدَ المنادَى له الَّذي وقعَ النِّداءُ لأجلِهِ.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 389.
(2) القونويّ، الحاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 420.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 268.

بلاغةُ التّوكيدِ بـ﴿أَنِّي﴾:

دلالةُ النّداءِ على شدّةِ البلاء

يشيرُ التّأكيدُ في قولِهِ تعالى: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ﴾ إلى شدَّة البلاءِ الّذي امتَحَنَ اللّهُ به صبرَ أيّوبَ ﷺ، فقد بلغَ به الأذى في بدنِهِ وأهلِهِ ومالِهِ مبلغًا عظيمًا يفوقُ الوصفَ، وصبر عليه مِن دونِ أيّ تضجّرٍ أو تبرُّمٍ مدّةً طويلةً تجاوَزَتْ سبعَ سنينَ أوْ ثماني عشرةَ سنةً على اختلافِ المُفسّرين، ثمَّ التجأ إلى ربّه الرّحيم ليكشفَ عنه الضّرَّ، فذكرَ المنادَى له مشيرًا بالتّأكيد إلى أنّه - وإنْ كان حالُهُ فيما عُهِدَ من شدّةِ صَبرِهِ مُقتضيًا عدمَ الشّكوى - أتاهُ من البلاءِ ما لا صبرَ عليه[1].

نكتةُ إيثارِ لفظِ (المسّ):

شيوعُ المَسِّ في إصابةِ الشَّرِّ

أوثِرَ في قولِهِ تعالى: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ﴾ التّعبيرُ بلفظِ (المسّ) دونَ لفظِ (الإصابة) أوْ غيرِها؛ لنكتةِ سلوكِ أيّوبَ ﷺ طريقَ الأدبِ في تضرُّعِه إلى ربِّه سُبحانه، إذ جعلَ كلَّ ما حلَّ به منَ الضُّرِّ البالغِ كالمسِّ الخفيفِ[2]. ويُلحظُ أنَّ (المسَّ) يتناسبُ معَ الشّيطانِ وأثرِهِ الّذي يكونُ خفيًّا غيرَ ظاهرٍ، فعبّرَ عنه بالمسِّ المناسبِ لتأثيرِهِ الخفيِّ العميقِ.

وجهُ تعريفِ لفظِ ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾:

الشّيطانُ المعهودُ هو إبليسُ، وتدخُلُ ذرّيّته فيه تبعًا

جاءَ في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ لفظُ ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ مُعرّفًا باللّام، ويمكن أنْ تكونَ (أل) في ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ لتعريفِ الجنس، فيَقتضي عمومَ الشّياطين. والظّاهرُ أنْ تكونَ (أل) فيه للعهد؛ أي: الشّيطانُ المعهودُ وهو إبليسُ، استئناسًا برواياتِ المفسّرينَ في قصّةِ إبليسَ معَ أيّوبَ ﷺ، ولأنّ جميعَ الشّرور بفعلِ هذا الشّيطان، وتدخلُ ذرّيّتُهُ فيه تَبَعًا[3].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 389.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 126.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 01/ 94.

اشتقاقُ لفظِ ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ ودلالتُهُ:

الشّيطانُ مُحترِقٌ بعيدٌ عن الخير

اختلفَ أهلُ اللُّغة في اشتِقاقِ ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾[1]؛ فقالَ أكثرُهم: إنّ أصلَه (شَطَنَ)، والنّونُ فيهِ أصْليَّةٌ، فيَكونُ عَلى هَذا القَوْلِ بِوَزْنِ فَيْعالٍ. و(شطن) أصْلٌ مُطَّردٌ صَحيحٌ يَدُلُّ عَلَى البُعْدِ، يُقالُ: شَطَنَتِ الدّارُ تَشْطُنُ شُطونًا إذا كانتْ بَعيدَةً، والشَّطَنُ: الحَبْلُ. وهوَ القياسُ؛ لأنَّهُ بَعيدُ ما بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ[2]. وقيل: بل النّون فيه زائدةٌ، فيَكونُ عَلَى هَذا القَوْلِ بِوَزْنِ فَعْلان، مِن: شاطَ يَشيطُ؛ بمعنى احترقَ أوْ هلكَ، والشَّيْطانُ هالِكٌ لِغَيِّهِ وشَرِّهِ[3]. وكلُّ عاتٍ مُتمرِّدٍ من الجنِّ والإنسِ والدَّوابِّ شيطانٌ[4].

سرُّ نسبةِ المسِّ إلى ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾:

التّأدّبُ في خطابِ الله ﷻ

أوثرَ في قولِهِ تعالى: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ﴾ إسنادُ أيّوبَ عليه السلام المسَّ بالنّصَب والعذابِ إلى الشّيطان، مع كونِ الفاعلِ لهما هو الرّبَّ سُبحانه، ولا يقدرُ على ذلك إلّا هو، والنّكتةُ في ذلك مراعاةُ الأدبِ في خِطاب المَولى سُبحانه؛ تنزيهًا للّهِ تعالى عن نِسبةِ أدنى شُبهةِ شرٍّ إليه، وفي هذا تأديبٌ للعبادِ في مُخاطبتِهم بنسبةِ الخيرِ دونَ الشَّرِّ إليه؛ معَ اعتقادِ أنّ الكلَّ فعلُهُ، وتنبيهًا على أنّ الشَّرَّ ممّا ينبغي التَّبرُّؤُ منهُ والبُعدُ عنهُ[5]. وقال بعض المفسِّرين: إنّ ظاهرَ إسنادِ المسّ بالنّصَبِ والعذاب إلى الشّيطانِ أنّ الشّيطان مسَّ أيّوب بهما حقيقةً، والمقصودُ ما كان يوسوسُ به إليه في مَرَضِهِ من تعظيم ما نزلَ به من البلاء، ويُغريه على الكراهةِ والجَزَعِ، فالتجَأ إلى اللّه تعالى في أنْ يكفيَهُ ذلك بكشفِ البَلاء أو بالتَّوفيقِ في دفعِهِ وردِّهِ

(1) الخليل، العين: (شطن).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (شطن).
(3) الراغب، المفردات: (شطن).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (أنس).
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 482.

بالصَّبرِ الجميل. وجوّزَ بعضُهم أيضًا أنْ يكونَ في الآيةِ مجازٌ عقليٌّ علاقتُهُ السّببيّةُ؛ بإسنادِ المسِّ إلى الشّيطانِ لكونِهِ سببًا فيهِ[1].

معنى (الباءِ) في الآية:

أثـــرُ حـــروف المعاني في توجيهِ البيانِ القرآنيّ

وردَ في قولِهِ تعالى: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ﴾ لفظةُ ﴿بِنُصۡبٖ﴾ مجرورةً بالباءِ، وقد اختلفَ المفسّرونَ في معنى الباءِ تبعًا لاختلافِهِم في معنى إسنادِ المَسِّ للشَّيطان، فحملَهُ فريقٌ على التّعديةِ، أوْ أنّها باءُ الاستعانة بالآلة، مثلُ: ضربَهُ بالعصا. ورجَّحَ بعضُهم أنْ تُحمَلَ (الباءُ) على معنى السّببيّة؛ بجعلِ النُّصب والعذابِ مُسبِّبين لمسِّ الشّيطان إيّاه؛ أي: مسَّني بوسواسٍ سببُهُ نُصْبٌ وعذابٌ، فجعلَ الشّيطانَ يوسوسُ إلى أيّوبَ بتعظيمِ النّصبِ والعذاب عنده، ويلقي إليه أنّه لم يكُن مُستحِقًّا لذلك العذابِ؛ ليزرعَ في نفس أيّوبَ سوءَ الظَّنّ باللّه أوِ السُّخطَ من ذلك. أوْ تُحمَلُ (الباء) على المُصاحبة؛ أي: مسَّني بوسوسةٍ مُصاحِبةٍ لضرٍّ وعذابٍ[2].

دلالةُ التّعبيرِ بالمصدرِ (نُصْبٍ):

أصلُ (النُّصْبِ) التَّعَبُ والمشقَّةُ

عبّر القرآنُ الكريم في قولِهِ تعالى: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ﴾ بلفظِ (نُصْبٍ)، بضمِّ النّونِ وسكونِ الصّاد، وهي لغةٌ في (نَصَبٍ) بفتحتين، ومعناهُ في الآية: ضرٌّ ومَشقَّةٌ وهمٌّ داءٍ ووجعٍ وبلاءٍ يُثقِلُ صاحبَهُ، فيكدُّهُ ويُجهِدُهُ ويصلُ به إلى الغاية من كلّ ذلك[3].

القراءاتُ القرآنيّةُ في لفظ (نُصْب):

اختلافُ القراءات باختلافِ اللُّغات

تنوّعتِ القراءاتُ القرآنيّةُ في كلمةِ ﴿بِنُصۡبٖ﴾؛ فقرأ أبو جعفرٍ بضمّ النّون والصّاد ﴿بِنُصُبٍ﴾، وقرأ يعقوبُ بفتحِهما ﴿بِنَصَبٍ﴾، وقرأ الباقونَ بضمِّ النّونِ وإسكانِ الصّادِ ﴿بِنُصْبٖ﴾[4]. وهذه

(1) الزمخشريّ، الكشّاف: 4/ 97، والقونويّ، الحاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 420.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 270.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 389.
(4) ابن الجزريّ، النشر: 02/ 361.

القراءاتُ كلّها بمعنًى واحدٍ، وإنّما اختلفتِ القراءاتُ باختلافِ اللُّغات، وقال أبو عبيدةَ: إنَّ (النَّصَبَ) بفتحتينِ: التّعبُ والإعياءُ، وعلى بقيّة القراءاتِ: الشّرُّ والبَلاءُ[1]. وفي كلا القراءتين جاءت إفادة شدّة ما لاقاه نبي اللّه أيوب عليه.

توجيهُ العطفِ بـ(الواو):

عـطـفُ السّـبب على المسبَّبِ

وردَ في قوله تعالى: ﴿بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ حرفُ (الواو) الدّالُّ على الجمعِ والاقتران، وعطفُ الألمِ على المشقّةِ والتّعبِ عطفُ السَّبب على المسبَّبِ؛ لأنَّ (النُّصْبَ) بمعنى التّعبِ والإعياءِ والمشقّةِ البدنيّة اللّازمةِ، و(العذابَ) بمعنى الألمِ الحسّيِّ والتّعبِ الجسديِّ المتعدّي؛ أي: إنَّ العذابَ والألمَ الواصلينِ إليه مُسبِّبان للإعياءِ والتّعبِ اللّازم. ويظهرُ أنَّ تعبَهُ وألَمَهُ الحسّيَّ مقترنٌ بحرارةٍ تُنبئُ عنها كلمةُ (العذاب) الّتي تقترنُ بالنّار وألمِها الحسّيِّ.

نكتةُ إردافِ (النُّصْبِ) بـ(العذاب):

إصـابـةُ أيّـوبَ في بدنِهِ بتعبٍ وألمٍ

عبّرَ النَّظمُ في قولِهِ تعالى: ﴿بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ بلفظِ (عذابٍ)، وهوفي الأصل: الألمُ الفادحُ الثّقيلُ النّاتجُ عن المرَض؛ يعني: أصابَني الشّيطانُ بتعَبٍ وألم. وذلك من ضرٍّ حلَّ بجسَدِهِ وحاجةٍ أصابَتْهُ في مالِهِ كما في الآيةِ الأُخرى: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء: 83]. وقال قتادةُ ومقاتلٌ: النُّصْبُ في الجسدِ والعذابُ في المال، قال النّحّاس: وفيه بُعدٌ، والأوْلى تفسيرُ (النُّصْب) بالمعنى اللُّغويِّ، وهو التّعبُ والإعياءُ، وتفسيرُ (العذابِ) بما يصدقُ عليه مُسمّى العذاب، وهو الألمُ، وكلاهما راجعٌ إلى البَدَنِ[2].

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 24/ 395، وأبو عبيدة، مجاز القرآن: 2/ 184، والسمين الحلبي، الدر المصون: 9/ 381.

(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 24/ 395، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 270.

سرُّ تنكيرِ لفظَي ﴿بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾:

ابتلاءُ أيّوبَ عليه السلام بأذًى عظيمٍ

يدلُّ التّنكيرُ في قولِهِ تعالى: ﴿بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ على التّعظيمِ؛ فقد ابتُلِيَ أيّوبُ عليه السلام بأذًى عظيمٍ يفوقُ الوصفَ في بدنِه وأهلِه ومالِه. كما يمكنُ حملُ التّنكيرِ على النَّوعيَّة؛ بمعنى: أنّه قد ابتُلِيَ بنُصْبٍ وعذابٍ من نوعٍ خاصٍّ يختلفُ عن سائرِ أنواعِ البَلاء[1].

غرضُ الإخبارِ في الآية:

ضَراعةُ أيّوبَ لربِّهِ وطلبُ لُطفِهِ

خرجَ الخبرُ في قولِهِ تعالى: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ﴾ مَخرجَ الدّعاءِ والشّكايةِ والضّراعةِ، وفيه كنايةٌ لطيفةٌ عن طلبِ لُطفِ اللّه به ورفعِ النُّصْبِ والعذابِ عنه؛ بأنّهما صارا مَدخلًا للشّيطانِ إلى نفسِهِ، فطلبَ العصمةَ من ذلك، على نحوِ قولِ يوسفَ عليه السلام: ﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣﴾ [يوسف: 33][2].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 270.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 269.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والأربعون،
سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 49 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-51-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 49 : المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-51-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1524626 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»